

## المرأة والأدب في ظل أسئلة الجنوسة

الدكتورة: فريدة بوزيداني

أستاذة محاضرة (أ) – المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة – الجزائر

### ملخص بالعربية

تعد كتابة المرأة قضية شائكة شغلت كثيرا من المنابر الفكرية و الأدبية و النقدية على مر العصور فمنذ أن نظر إلى المرأة على أنها شيطان جميل و كائن بين الإنسان و الحيوان إلى أن اعتبرت ناقصة عقل ، حتى ثار هذا المخلوق ليعلم أنه يملك العقل و العواطف و له الحق في الوجود مثله مثل الرجل . تفلسفت المرأة فكانت الفيلسوفة كما الرجل و أبدعت شعرا و نثرا فكانت الأدبية كما الرجل و مارست النقد فكانت الناقدة كما الرجل أيضا و ثنايا التاريخ تشهد على هذا ، لكن لم ينظر إلى الفيلسوفة إلا بعين الرجل \_ الذكر و لا إلى الأدبية إلا بعين هذا الذكر أيضا و كذا الناقدة لم تسلم هي الأخرى من تذكيرها ب...عقلها الأنثوي و قلمها المؤنث ووو.

### ملخص بالإنكليزية :

Because writing is an act of resistance to death, the writers are the lamps that illuminate the paths of humanity, and because literature is supposed to have no sex, but the question of male-female remains a matter of great difficulty. What is written by women and the issue remains to this day raises great controversy and this question remained on the table but became more controversial with modernity.

This modernity is more closely associated with the historical course and the conditions experienced by the Western world during the period of obscurantism. It means that it is impossible to understand the meaning of modernity without returning to the historical conditions that were the cause of its emergence in a sense that can not be separated from the period before its birth. The context of Western historical development.

It was not science alone who brought the Western world out of the darkness of the Church, but philosophy had the leading role in modifying the course of thought and appeared the German

philosophy idealized by the slogan "the existence of non-rational beings," and came mental philosophy with the pioneer Descartes to cultivate the question of intellectual doubt in the mind of man by saying "I think therefore I exist." Accordingly, literature and criticism must respond to all these intellectual revolutions and take a different course from their previous tracks, by employing what came to science, so that literature and criticism met philosophy, and creativity became not so creative. But with a creative mind, conscious and understanding.

First we have to define some definitions starting from the main questions, is feminist literature is the literature written by women about themselves and about women or is all literature written about women and does not matter the identification of the author, or is the literature written by women and enough, or literature that He will achieve the conditions of writing - to be criticized by critics for purely monetary considerations - the designation of "feminist literature" or will raise many questions whenever the subject is opened for discussion, there are those who consider the literature is "feminist literature associated with the movement of women's liberation and women's freedom and the long historical struggle of equality of men" It is also clear from what definitions feminist literature is not written by Alm But not necessarily ah, "the theme of women, the concept is not cast down from the door of attention to women as a subject, but rather the issue permeates the establishment of a new consciousness about themselves before and with the other and attempt language from the power menu icons filter in mainstream culture.

مثلما عاش الرجل و المرأة معا و مارسا معا طقوسهما السحرية محاولين كشف حجب الغيب منذ القدم ، فقد تفتحت عيون المرأة ووعت ، مثلها مثل الرجل أن الكتابة هي نوع من الحضور بواسطة اللغة ، فهي - الكتابة - التي بها يخرج الإنسان ما في دواخله ، و بها يعبر عن عالمه و عن حلمه ، و عن حياته و بها يديم حضوره حين يغيب .  
هي الكتابة التي اعتبرها كل الأدباء " فعل مقاوم للموت " ، فكم من أديب مازالت أصداء كتاباته إلى اليوم رغم ما بيننا من زمن ، فهذا امرؤ القيس و المتنبى و ولادة بنت المستكفي و هوميروس و دانتي و غيرهم كثيرون ماتوا و انتهى زمنهم لكن ذكرهم لم يمت بل الأصح أن ما خلفوه من كتابات أدبية هو الذي لم يمت و بقي خالدا وأكثر من ذلك

فقد منحت هذه النصوص الحية الناقد " الأدبي " الحياة هو أيضا من خلال حياة النص الذي رافقه لأن النص الأدبي و نصه النقدي ينشأ معاً ف " الخطاب ينشأ حول الأدب مع نشوء الأدب نفسه " 1 كما يقول تودوروف و هذا ما منحنا اليوم كل هذا الرصيد من الكتابة الأدبية و النصوص النقدية المرافقة لها .

كما تراوح هذا الأدب بين مراحل فكرية متنوعة عرفها الفكر البشري بدءاً بمراحل ظلامية إلى يومنا هذا بكل ما يعتمل فيه من رؤى و اتجاهات ، فبعد أن مر الغرب بأحلك أيامه على الإطلاق نزل فيها الفكر إلى أسفل الدركات و عم الجهل نتيجة سيطرة رجال الكنيسة حيث منعت كل أنواع الفكر و الوعي و عدت المعرفة نوعاً من التناول على كل النظم لذا ينبغي القضاء عليها .

كان من حق رجال الدين معاقبة أي كان دون أن يكون له الحق في الدفاع عن نفسه حتى أنهم حاكموا الموتى و صادروا أملاكهم و المثير للدهشة هو أن من مهد للنهضة هم رجال الدين أنفسهم ، بعدما كان الأوروبيون يؤمنون بالأسطورة و الفكر الأسطوري و هو ما كان سبباً كافياً ليعم الجهل ، لكن عمل هؤلاء على تحويل المخيلة البشرية الأوروبية إلى الإيمان بالدين المسيحي و هذا تطلب محو لكل الاعتقادات التي رسخت فيها من قبل ( المعتقدات الماوراء طبيعية ) .

كان لظهور العلم و الأفكار التنويرية كبير الأثر في تخلص أوروبا من ظلامها و أول خطوة خطاها هؤلاء هو التخلص من السيطرة الإقطاعية و العمل على إثبات مبدأ العدل و المساواة فقد كان المجتمع آنذاك مقسماً إلى طبقتين طبقة القاهرة و أخرى مقهورة و هذا طبعاً ما حاولت كل الثورات التي اندلعت هنا و هناك في أوروبا تحطيمه كأول نمط قاتل للإنسانية ، كما أصبح العلم هو الراية الوحيدة التي استطاع الغرب من خلالها تجاوز الترهات و الخرافات التي فرضتها الكنيسة فحجبت من خلالها حقائق كثيرة أهمها المكانة التي يحتلها الفرد في المجتمع و قيمته كذات عاقلة تنشد الحرية .

كلها كانت بواعث لدخول أوروبا عصراً جديداً عرف بالحدث كإعلان عن نهاية الميتافيزيقا و بداية عصر العلم و التجربة و إرادة الإنسان .

إذن هذه الحداثة مرتبطة أشد الارتباط بالمسار التاريخي و الظروف التي مر بها العالم الغربي أثناء تجاوزه لفترة العصور الظلامية ، يعني أنه لا يمكن فهم معنى الحداثة دون العودة إلى الظروف التاريخية التي كانت سبباً في ظهورها بمعنى آخر لا يمكن فصلها عن الفترة السابقة لميلادها ، الحداثة محصلة لسياق التطور التاريخي الغربي ، تجلّى من

خلالها حلم الإنسان الغربي في البحث عن عالم مثالي يعيد له اعتباره بعد أن دنسته قوانين الكنيسة التي على الرغم من محاولاتها تجميد العقول، استطاعت الأفكار العلمية الداعية للتحرر من سلطة الكنيسة الانتصار عليها في النهاية ، و قلب الموازين كذلك و كان هذا إيذانا بانقضاء عصر السيطرة على البشرية و تصدر الإنسان مركز الريادة و كل هذا كان بفضل العلم ، فظهرت العلوم الطبيعية و الفيزيائية استجابة للأفكار التي جاء بها غاليليو و بيكون و هيوم و غيرهم كثيرون . عموما فقد استطاع العلم تغيير الفكر ، فأصبح هناك مفهوم للسببية و اليقينية و كله استدعى التجربة و الملاحظة ، و بالتالي التخلص من الأفكار المخيفة التي خلفتها القرون الوسطى كما أصبح العالم مرثيا بكل جلاء من خلال علاقات رياضية و جملة من الظواهر الموضوعية التي تنتظمها علل و أسباب عقلية و تحددها حتميات فيزيائية لا دخل لقوى ميتافيزيقية فيها .

لم يكن العلم وحده من أخرج العالم الغربي من ظلمات الكنيسة بل كان للفلسفة الدور الريادي في تعديل مسار الفكر و ظهرت الفلسفة الألمانية المثالية بشعارها " لا و جود لكائنات غير الكائنات العاقلة " و جاءت الفلسفة العقلية مع رائدها ديكارت لتزرع سؤال الشك الفكري في عقل الإنسان بمقولته " أنا أفكر إذن أنا موجود " و بناء على ذلك كان لا بد للأدب و النقد أن يستجيبا لكل هذه الثورات الفكرية و أن يأخذ مسارا مختلفا عن مساراتهما السابقة ، بتوظيف ما توصل إليه العلم فالتقى الأدب و النقد بالفلسفة و أصبح الإبداع لصيقا لا بذات إبداعية مغفلة بل بعقل إبداعي واع و فاهم . لكن ... في هذا الكم الأدبي الهائل من الرصيد الإنساني نجد فراغات رهيبة تملأ التاريخ ذاك ، تغيب ملحوظ لكتابة المرأة و لنصها النقدي أيضا ما عدا بعض الكتابة المجموعة هنا و هناك ، فصحيح أن انشغال المرأة بالإنجاب و تربية الأطفال و التبعل للأزواج يمكنه تفسير هذه الفراغات لكن الرجل أيضا انشغل بالحروب و بالتشديد و بناء الحضارات ولم يمنعه هذا من أن يكتب الشعر و المسرح و أن ينقد و ينتقد و...و فلم الإقصاء الذي طالها سواء عند الغرب أو العرب ؟

أسئلة كثيرة هي التي جعلت " فرجينيا وولف " تهتم المجتمع الغربي و تقول بأنه مجتمع " أبوي منع المرأة من تحقيق طموحاتها الفنية و الأدبية ، إضافة إلى حرمانها اقتصاديا و ثقافيا " 2 و جاءت سيمون دي بوفوار من فرنسا لتعلن هي الأخرى رفضها لهيمنة الرجل التي ظل يبسطها على المرأة باعتبارها تكملة له ، هيمنة تسمها هي بالسلبية و تمنحه هو

الأهمية، حيث تسود " ثقافة الذكر (الأب) أي ثقافة تتمركز على الذكر الذي يحكمها ، و لذلك فهي تنتظم بطريقة تهيؤ هيمنة الرجل و دونية المرأة في كافة مناحي الحياة و مفاهيمها الدينية و العائلية و السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و القانونية التشريعية ، و الفنية الأدبية ، هذه الهيمنة أفضت بالأنثى إلى تبني هذه البنية الأيديولوجية و أصبحت تجسدها في حياتها و فكرها حتى أصبحت ، كالرجل ، ترى دونية نفسها كبديهيّة مطلقة " 3 و لكن رغم كل ما يقال فقد عكست المرأة - من خلال خوضها في مختلف المواضيع الفلسفية و السياسية - صوتها الرافض لكل أشكال المحو و لم يخل رفضها ذلك من وعي و إدراك عميقين . كما وضعت (سيمون دي بوفوار) أيضا في كتابها (الجنس الآخر 1949) و بوضوح بالغ القضايا الأساسية في النقد النسوي المعاصر من مثل تركيز المرأة على إبراز الذات المؤنثة في خطابها و ما من رجل يفعل ذلك لأن هذا الأخير يستعمل لفظة " رجل " ليمثل به الإنسان لا لفظة " امرأة " و هذا يكشف " غياب التماثل " بين مصطلحي " المذكر " و " المؤنث " . ويعود هذا الانحياز في أصله إلى " العهد القديم " فبتشتت النساء بين الرجال، لم تمتلك النساء تاريخاً منفصلاً، ولا سيادة طبيعية. لم يتحدن مثلما فعلت الجماعات المضطهدة الأخرى، ووسمت المرأة بالعلاقة المنكفئة مع الرجل، فهو " الواحد " وهي " الآخر " . وضمنت هيمنة الرجال مناخاً أيديولوجياً من الإذعان: لقد قاتل المشرّعون، والرهبان، والفلاسفة، والكتّاب، والعلماء لكي يوضحوا أن الموقع الثاني للمرأة اختارته السماء، وباركتها الأرض الخوض في مثل هذه المواضيع الحساسة في العالم الغربي و ذات الحساسية الأكبر والأكثر تجذراً في عالمنا العربي أمر يتطلب التزام الحذر مثلما قالت بذلك " ماري إيجلتون " في كتابها " النقد الأدبي النسائي 1992 " ف " نحن نواجه تاريخاً طويلاً من النظريات الأبوية التي تزعم أنها أثبتت بصورة قاطعة أن النساء أدنى من الرجال " 4

علينا أن نحدد بعض التعريفات منطلقين من تساؤلات رئيسية ، هل الأدب النسوي هو الأدب الذي تكتبه المرأة عن نفسها و عن المرأة أو هو كل أدب مكتوب عن المرأة و لا يهم تحديد كاتبه ، أو هو الأدب الذي تكتبه المرأة و كفى ، أو هو الأدب الذي يحقق شروط كتابة - يطلق عليها النقاد لاعتبارات نقدية محضة - تسمية " الأدب النسوي " أو ربما ستطرح أسئلة كثيرة كلما فتح هذا الموضوع للنقاش ، فهناك من يعتبر الأدب النسوي هو " الأدب المرتبط بحركة تحرير المرأة و حرية المرأة وبصراع المرأة الطويل التاريخي للمساواة بالرجل " 5 . منطلق هذا الطرح هو تلك الكتابات العديدة التي تبعت حركات

التحرير النسوية في الغرب ، إذ رافق هذا الأدب مواقف جمعيات نادى بالتححر من ربقة الرجل ، و من التعريفات أيضا ما لا يعتبر الأدب النسوي هو ما كتبتة المرأة بالضرورة بل " أن موضوعه نسائي ، فطرح المفهوم لا يتم من باب الاهتمام بالمرأة باعتبارها موضوعا ، وإنما يتخلل المسألة تأسيس وعي جديد من قبلها حول ذاتها و ذات الآخر و محاولة تصفية اللغة من سلطة الرموز القائمة في الثقافة السائدة"6 .

بتعريف مغاير هو مصطلح جديد يعبر عن مفهوم الكتابة النسوية التي تعتبر فارقة في حد ذاتها و هي قادرة على التفوق و التميز كما تقول حمدة خميس \* أن كتابة المرأة ينبغي أن تكون مصدر اعتزاز المرأة و المجتمع و النقاد فهي : " تصحح مفهوم الأدب الإنساني الذي يؤكد على قيمة الإنسان و قدرته على تحقيق ذاته ، كما إنه يضيف إلى الأدب السائد نكهة مغايرة و لغة وليدة ... و يتكامل معه و هو أيضا خطاب نهوض و تنوير"7 .

أما الناقدة خالدة سعيد فتشكك في إطلاق مصطلح "أدب نسائي" أو "كتابة نسائية" و تعتبره مصطلحا فضفاضاً و غير دقيق لأنه يتضمن " الهامشية مقابل مركزية مفترضة، هي مركزية الأدب الذكوري فترى أنه "مصطلح شديد العمومية و شديد الغموض، و هو من التسميات الكثيرة التي تشيع بلا تدقيق..و إذا كانت عملية التسمية ترمي أساساً إلى التعريف و التصنيف و ربما إلى التقويم، فإن هذه التسمية على العكس، تبدأ بتغييب الدقة، و تشوش التصنيف و تستبعد التقويم، هذه التسمية تتضمن حكماً بالهامشية مقابل مركزية مفترضة"8

نسمع صوتاً أدبياً آخر رافضاً هذا التمثيل هي الأدبية أحلام مستغانمي إذ تقول " عندما أقرأ كتاباً لا أسأل نفسي بالدرجة الأولى هل الذي كتبه رجل أو امرأة."9 إذ ترى أن جنس الكاتب لا دخل له في النص الأدبي فهو لا يعتبر محددًا لجمال نص ما، كما تطلع أصوات أخرى رافضة لمثل هذه الطروحات كالأديبة غادة السمان التي بدورها أكدت على أنه " ليس هناك تصنيف لأدبين نسائي و رجالي." 10 و إن افترضنا أن ما رفضته الأدبيات من تقسيم راجع لكونهن كاتبات و بالتالي رفضن هذا التقسيم بله الإقصاء لهن كنساء فإننا نجد الصوت نفسه يصرخ معلنا الرفض من مفكرات و منطلقات و فيلسوفات و رجال مفكرين أيضا عبر العالم . بدءاً بفكرة الصالونات الأدبية التي تلاقت فيها كل الآراء و وجهات النظر بالنسبة للحياة الأدبية حيث أثرت بشكل كبير في انفجار عالم الأدب لكن رغم ذلك واجهت المرأة الكاتبة رفضاً من نظيرها الرجل الكاتب

ورفضاً أكبر من المجتمع و أوروبا في القرنين السابع عشر و الثامن عشر دليل على ذلك ، و لم تتفتح المجتمعات الأوروبية على تقبل فكرة المرأة الأدبية و المفكرة و الكاتبة حتى بدايات القرن العشرين مع أسماء مثل سيمون دي بوفوار (1908-1986)، الأدبية الفرنسية الحاصلة على دبلوم في الفلسفة سنة 1929 بتفوق، و هي التي رفضت الخضوع لمصيرها المرسوم كأم وزوجة وكان لقاءها مع الكاتب جان بول سارتر حسب قولها: "الحدث الرئيسي في وجودها". عاشت دي بوفوار هاجساً استحكم جل نشاطها الفكري، وهو هاجس الحرية وعلى الخصوص حرية المرأة ومن خلال ذلك حرية الفكر الإنساني عموماً. ويبقى مؤلفها " الجنس الآخر " 1949 من أهم وأشهر مؤلفاتها داخل فرنسا وخارجها والذي كان المرجع والمُعبرَ عما كتب عن المسألة النسوية لفترة معينة، عالجت فيه وشخصت الأوضاع التاريخية والاجتماعية والنفسية والخضوع الثقافي للمرأة. "ساهمت دي بوفوار في الحركة الثقافية النسوية الفرنسية عبر سيرتها الذاتية التي ركزت فيها على تجاربها كأثى وامرأة ابتداء من كتابها، قوة السن 1960، وقوة الأشياء 1963، الموت السهل 1964، الكل يهم فعلاً 1972، احتفال الوداع 1981، وذاكرة فتاة صغيرة 1985". 11

لعل من التساؤلات الهامة التي يثيرها موضوع المرأة هي تلك التساؤلات التي نجملها في التالي :

\_ هل تشكل كتابة المرأة نشاطاً يحرك لدى الذكر دوائر خوفه على مكانته وقيمه من الاقتحام؟.

.هل تكتب المرأة خصوصية علاقتها بالرجل فقط وبذلك فهي تكتب صمت النساء... جهل النساء... بكاء النساء... وبالتالي أميتهن؟.

إن هذه التساؤلات تطرح مشكلة أكبر من مشكلة المرأة هي مشكلة الإنسان الفرنسي ( الأوروبي) عموماً مع الحرية.. الحرية التي تجعل الرجل حسب دي بوفوار مادة ثورية وبذلك تصبح الأدبية بإبداعاتها الثورية حرة أمام بنية الحياة الاجتماعية الموروثة،

إن تحرر المرأة رهين بمدى استطاعتها تغيير الصورة التي ينظر بها الرجل لها ولخصائصها الجسدية والنفسية، ومدى تحررها من الموروث الثقافي الذي يشكل سلباً لحياتها اللاواعية، وهذا الدور منوط بالمرأة الكاتبة التي تملك ناصية اللغة لتبليغ

المشاعر والأحاسيس " للآخر " الذي تمثل المرأة في عُرفه الجنس " الآخر "، فالأنثى تحوّل إلى امرأة ضمن واقع ذكوري متسلّط تشكّلت شخصيته انطلاقاً من مفهوم السلطة .  
كما تطرقت فرجينيا وولف في الإطار نفسه إلى الصعوبات التي تعترض المرأة عندما تريد أن تكون كاتبة أولها مواجهة المقدّس...مواجهة الأشباح  
قد اعتبر خروج فرجينيا وولف عن النسق الكتابي لعصرها دفاعاً عن النفس، فالكتابة لدى وولف حدث ثوري تقيم بها: علاقة مملوءة بالرعب مع الأشياء المحيطة بها.  
جاءت جوليا كريستيفا مشاركة في تنشيط الساحة الأدبية الفرنسية من خلال جماعة تال كال و غيرهم من رواد النقد الحديث كرولان بارت،  
ولتشارك أيضاً في مناقشة مسألة أدب المرأة والجنس والانتماء فرفضت التحديدات البيولوجية التي تعتبر أساسية في التمايز الجنسي، كما رفضت التراتب الذكوري باسم التمايز.

هذا في الغرب أما في عالمنا العربي فعندما نتطرق لمسألة الكتابة النسوية العربية التي دون ريب تأثرت بالحركات الغربية ، يجب أن لا نغفل الرصيد الهام من الكتابة منذ عصر الجاهلية رغم أن غالب الرواة و من حفظوا النص الشعري ذكور فقد مارسوا إقصاء ملحوظاً لشعر المرأة و حكمها و أمثالها و خطبها على عكس ما فعلوه مع الرجل فمن يتصفح تاريخ العرب الشعري و يقوم بإحصاء شعرائه يجد عدد الشواعر كبير و مهمل فقد نظمت المرأة الشعر و رغم كل الإقصاء الذي طال شعرها فالرجل كان هو الراوي و هو المدون و هو قبل هذا و ذاك وائدها حية كأنثى ووائدها أيضاً كشاعرة ، كتبت المرأة شعراً لا يقل جودة عن نظيرها الرجل ، من حيث جودة الصياغة و بلاغته فها نحن نجد في البدايات اسم صفية بنت ثعلبة الشيبانية \* هذه العربية الحرة ، استنجدت بها هند فأحسنّت إجارتها و استنهضت قومها تطلب نصرتها و "آلهة" ضد الفرس قائلة :

|                               |                           |
|-------------------------------|---------------------------|
| "أحيوا الجوار فقد أماتته      | كلّ الأعارب يا بني شيبان  |
| ما العذر؟ قد لقت ثيابي حرّة   | مغروسة في الدرّ والمرجان  |
| بنت الملوك ذوي الممالك والعلّ | ذات الحجال وصفوة النعمان  |
| أتمتفون وتشحذون سيوفكم        | وتقومون ذوابل المرجان     |
| وتسومون جنودكم يا معشري       | وتجددون حقيبة الأبدان" 12 |

أما " هند " 13 فقد مدحتهم عند انتصارهم و هزيمتهم للفرس بقولها :

المجد والشرف الجسيم الأرفع      لصفية في قومها يُتوقع

ذات الحجاب لغير يوم كريمة  
ولدى الهياج يُحلّ عنها البرقع  
وتحيّروا فشفت صفيه مفخرا  
ودعت قبائل شرّها لا يقلع

تعددت أغراض شعر النساء في العصر الجاهلي من حكمة و مدح و هجاء و رثاء و غيرها إلى أن جاء الإسلام فخص المرأة بمكانة عالية و اعتبرها مكلمة للرجل ، ومحور الأسرة، و قد ألزم الدين الرجل برعايتها وحمايتها، وتربيتها وتنشئتها، والحفاظ على كرامتها وإنسانيتها؛ قال الله تعالى في سورة النساء "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها و بث منهما رجالا كثيرا و نساء و اتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا "

أما العصر الأموي فقد حفل بأسماء لامعة كليلي الأخيلية 14 التي كانت من جميلات عصرها و من أشعر العرب و عرفت بحبها ل"توبة بن الحمير الخفاجي " حتى أنها رثته بشعر شهد لها به الجميع :

يا عين تبكي بدمع دائم السجم      وأبكي لتوبة عند الروع والهم  
على فتى من بني سعد فجعت به      ماذا أجن به في الحفرة الرجم  
من كل صافية صرف وقافية      مثل السنان وأمر غير مقتسم

ونظمت رابعة العدوية\* شعرا لا يضاهي و هي التي سار على دربها في التصوف كثيرون رجالا و نساء :

" أحبك حبين حبّ الهوى      وحبّ لأنك أهل لذاكا  
فأما الذي هو حب الهوى      فشغلي بذكرك عمن سواكا  
وأما الذي انت أهل له      فكشفك لي الحجب حتى أراكا  
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي      ولكن لك الحمد في ذا وذاكا " 15

أما في العصر العباسي فنجد كثيرات هز الحب شعرهن فنثرن أجمل الأشعار ، فنقرأ ل" عليّة بنت المهدي\* قولها :

" تحبب فإنّ الحبّ داعية الحبّ      وكم من بعيد الدار مستوجب القرب "16  
جاءت البيئة الأندلسية لتدغدغ أرواح نساءها الجميلات فكانت المرأة و الأندلس و الحب ثلاثية دوخت رجال العصر ، فولادة بنت المستكفي و حسانة التميمية و حمدونة بنت زياد و غاية المنى و غيرهن كثيرات مما لا يسع المقام لذكرهن كلهن ، نقشن أسماءهن بحروف من زمرد .

عاشت المرأة إذن في كل العصور ، أحبت و كرهت ، سعدت و تعذبت ، أبدعت و لكنها غيبت و غاب ذكرها بل طمس إبداعها و الذي و إن ذكر فقد كان مجرد عبور دون توقف و كأنه الإقصاء المقصود لا غير ... إقصاء ذكوري بامتياز ، و لكنها كانت هنا و حيثما التفتنا في التاريخ نجدها تشير بأنها الحياة بأكملها ، بصوت مجلجل يصل عنان السماء معلنة حضورها ، بلغتها و بلاغتها و أسلوبها و من هذا المنطلق " علينا أن نبدأ بتحديد سمات الأدب النسائي العربي من خلال دراسة هذا الأدب دراسة جادة و معمقة و هادفة و ليس من خلال ترديد مقولات مستهلكة وعميقة، حينئذ قد نشعر جل كاتباتنا بالفخر لإلحاق صفة نسائي بكتاباتهم ، و قد نضيف الجديد والغني إلى الأدب العربي من خلال رفده بأدب نسائي طال إهماله و تجاهله و تشويه منهجه و مغزاه" 17.

رغم أن المرأة تتخوف من الإفصاح و البوح بتجاربها و حياها غالبا - حيث القبيلة و العرف و الدين و المؤسسة الذكورية - و هذا ما أعطى للرجل فرصة ليقولها ما لم تقله و يعبر في مكانها إلا أن " الكتابة النسوية لاحت فيها بشائر إنتاج أدب خال من الاضطهاد أو التعارض مع الرجولة بل بالعكس تهدف إلى فهم الطرف الآخر الذي لم يفهمها و همشها لسنوات طويلة... إذ تحاول بأنوثتها الدينامية المبدعة أن تفهم الآخر " 18 ، تقول سعاد الصباح :

" يقولون إني كسرت بشعري جدار الفضيلة وإن الرجال هم الشعراء  
وكيف ستولد شاعرة في القبيلة وأضحك من كل هذا الهراء  
وأسخر ممن يريدون في عصر حرب الكواكب وأد النساء " 19

شكلت الكتابة النسوية الفارق عندما حاولت أن تخرج من ثنايا الخضوع امرأة رافضة للخضوع فهي و إن أحبت ذلك الرجل إلا أن " ذاتها و إرادتها يهاجمان ذلك الحب أو بالمعنى الأصح سيادة ذلك الحب " 20 و الكتابة عند المرأة - الأنثى - " مساحة للروح و لقول المحظور ، أفق للحرية فهي " تقيم بها علاقة جمالية مع الواقع تعطيها فرصة الاستمتاع بفرح الإبداع " 21 و هي أي - المرأة الكاتبة- تمارس بشكل من الأشكال وهم تبديل العالم من خلال الحرف كما الرجل مع كل ما تحاوله بعض الكاتبات جاهدات لإبراز أن المعركة و الخلاف ليسا مع الرجل إنما مع تلك الطرائق المتحيزة التي يتم بها تهميش المرأة على كل الأصعدة ثقافيا و سياسيا واجتماعيا لأسباب كما يشاع أنها بيولوجية ( بسبب جنسها ) .

لا تخرج معاناة المرأة المبدعة عن معاناة المرأة العاملة التي كافحت من أجل الخروج إلى العمل على اعتباره يحقق لها الحياة الكريمة، ثم وجدت نفسها تدفع ثمن مطالباتها جهداً مزدوجاً: داخل وخارج البيت، ناهيك عن كل الضغوط التي تطارد المبدعات بدعوى جرأتهم باسم المجتمع المحافظ والخصوصية الثقافية. وكل هذه المصطلحات المضللة التي يختفي خلفها رجل عربي محطم من تبعات قديمة ممثلة في تحطيم رجولته من قبل عدو متكرر في أسماء شتى و أزمنة عديدة – من الملكة إليزابيت و الصليبي ريشارد قلب الأسد إلى العثمانيين إلى الاستعمار المتعدد و المختلف: إنكليز و فرنسيون و طليان إلى الخنجر المغروس في جسد الأمة العربية الكيان الصهيوني ...عدو هزمه شر الهزائم و لم يستطع حتى الدفاع عن " امرأته "ك" المعتصم بالله "الذي استنهضته أعرابية فشحد السيوف و جهز جحافل الجيش و أوقع بالروم شر هزيمة ، و لم يجد عربي اليوم غير " المرأة الغربية " يفرغ فيها انتقامه من أهلها ( عد إلى : الهي اللاتيني لسهيل إدريس ، موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح ، الحب في المنفى لبهاء طاهر ، و غيرها ) أما العربية فراح يصف آلاف القوانين و الأعراف التي تحد من حريتها لأنه لا يريد لها ك " الغربية " بل يريد لها طيعة خائفة مستسلمة ، راضية بقدرها و هذه النظرة هي نفسها نظرة المجتمع إلى المرأة بشكل عام و هي لا تختلف عن نظرة الوسط الثقافي إلى المرأة المبدعة، الذي يراها شذت عن عرف المجتمع وتقاليده كما تقول إحدى المبدعات فالمجتمع يتعامل مع المرأة عموماً باعتبارها ذلك الضلع الأعوج ... لا يرى فيها رأساً ذا فكر وخيال ونظرة ووجهة نظر... وقد يُقبل من الرجل ما لا يُقبل من المرأة ويطلب المجتمع من المرأة ما لا يطلبه من الرجل، باختصار، كل ما يتحرك على الأرض يتحرك معترضاً طريق المرأة.

من هذه الخلاصة يجدر أن لا تبني المرأة إبداعها على هذه الفكرة حتى لا تقع هي بدورها داخل دائرة الاستلاب أو إقصاء و جلد الذات ، بل على أدبية اليوم أن تتجاوزها حتى تتمكن من التعبير بدقة عن هموم إنسانية مشتركة.

يبقى صراع المرأة لإثبات وجودها أبدياً ما دام الجنس البشري قائماً ، فثنائية (الرجل / المرأة) ستبقى نقطة الخلاف للصعوبة التي يلتقط بها الرجل – بعض الرجال / المؤسسة – مسألة الاختلاف الجنسي لا الإبداعي مما يتطلب وعياً جمالياً جديداً بالإبداع الأدبي (إبداع الرجل و المرأة على السواء) وهي معضلة القرن.

### هوامش البحث :

- 1\_ تزفيتان تودوروف ، الشعرية ، تر: شكري المبخوت و رجاء بن سلامة ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط1، 1987، ص 10
- دليل الناقد الأدبي ، سعد البازعي و ميجان الرويلي ، ص 223\_2
- دليل الناقد الأدبي ، مرجع سابق ، ص 223\_3
- 4\_ أنظر : بسام قطوس ، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، مصر ، ط1، 2006، ص 220
- 5\_ ينظر: أشرف توفيق، اعترافات نساء أديبات، دار الأمين ، ط1، القاهرة 1998، ص10.
- 6\_ سمية درويش ، الطاقة المبدعة هوية، مجلة الكاتبة، العدد الثاني، كانون الثاني/يناير، السنة الأولى 1994 ص 34، نقلا عن: زهور كرام، السرد النسوي العربي.
- \*\_ حمدة خميس : شاعرة بحرينية ولدت عام 1948 في المنامة، أكملت دراستها الابتدائية والثانوية في البحرين، والجامعية في بغداد حيث حصلت على البكالوريوس في العلوم السياسية، لها ديوان شعر "اعتذار للطفولة"
- 7\_ عد إلى حمدة خميس: في مفهوم الأدب النسائي ، جريدة الجزيرة، العدد 88 93، 1997/2/2. ص 264\_265.
- 8\_ أنظر: حسين نجعي، شعرية الفضاء السردي المتخيل و الهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب. ص 173.
- \_ القدس العربي، السنة الرابعة، العدد، 1076 . 9
- 10\_ أنظر : حسام الخطيب، حول الرواية النسائية في سورية، مجلة المعرفة العدد 166 ص 81.
- 11\_ عبد النور إدريس ، الكتابة النسائية : تاريخ..وعي..هوية...، موقع إيلاف Elaph.com2006/1/119626
- \*\_ صفية بنت ثعلبة الشيبانية : هي من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، جمعت قومها شيبان و القبائل الأخرى ليوقعوا بالفرس في موقعة ذي قار، كان أخوها عمرو بن ثعلبة على رأس الموقعة الأخيرة بين العرب و العجم) فقد استنجدت بها " هند بنت النعمان
- 12\_ أنظر : بشير يموت ، ص 33.
- 13\_ مرجع سابق .
- 14\_ مرجع سابق ، ص 213
- \*\_ رابعة العدوية هي أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية امرأة صالحة من أهل البصرة اشتهرت بالتنسك ، عاشت في القرن الثاني للهجرة.
- بشير يموت ، مرجع سابق ، ص 228\_ 15

- \*\_عليه بنت المهدي : هي أخت هارون الرشيد (لقبت بالعباسة) .  
بشير يموت مرجع سابق ، ص 16\_351  
17\_ بثينة شعبان ، الرواية النسائية العربية ، مجلة مواقف ، ص ص 232-233، نقلا عن حسين المناصرة ، المرأة وعلاقتها بالآخر ، ص 265\_ .  
أحمد زين الدين ، فوضى الحواس ، ص 18\_35  
19\_ أنظر : فاضل خلف ، سعاد الصباح ، الشعر و الشاعرة ، منشورات شركة النور للصحافة و الطباعة و النشر ، ط1، الكويت 1992 ، ص 8.  
20\_ أنظر ، فاضل خلف ، مرجع سابق ، 66  
21\_ جعفر يايوش ، الأدب الجزائري الجديد ، التجربة و المآل ، مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية ، وهران ، الجزائر 2007، ص144